

جامعة العربي بن امهيدي - أم البواقي.
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي.



محاضرات النقد البنيوي التكويني

- مستوى : ثلاثة ليسانس / اختصاص : نقد ومناهج
- مسؤل المادة : د. آمنة أمقران .
- الإرسال الأول.

﴿بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدي رسول الله﴾

المحور 1 : البنيوية التكوينية المفهوم والتأصيل

تقديم

ارتبطت البنيوية التكوينية باسم **لوسيان غولدمان**، الذي يعبر على تسميتها بالمدرسة، بهدف تأسيس منهجية نظرية خاصة به، تشرح العمل الأدبي في علاقته الداخلية، وتدرج بنيتها الدلالية في بنية اجتماعية أكثر شمولاً واتساعاً، إن المفاهيم والأدوات الإجرائية التي قامت عليها **البنيوية التكوينية**، جاءت بعد تراكم فكري وفلسفي ونقدي سوسيولوجي، بدأ منذ المحاولات جهود أفلاطون وأرسطو ومناقشات مفهوم المحاكاة، أما في العصر الحديث فقد ربط "جان بابتست فيكو" بين النسق الاجتماعي والجنس الأدبي، وأوضحت "مدام دي ستال" علاقات التأثير والتأثر بين الأدب والمؤسسات الاجتماعية، إلى جانب هذا أعمال كل من "سانت بوف" و"هيبوليت تين" و"لانسون"، و"برونتيير" التي تدخل ضمن النقد الاجتماعي.

الخلفية والمرجعيات

- تعد النظرية **الماركسية** ومنهجها الجدلي إحدى أهم مرتكزات البنيوية التكوينية، ويقر **غولدمان** بالفضل للمقولات **الماركسية** حيث كانت منطلقاً لجل المفاهيم والإجراءات التي طرحها بنيويته التكوينية، قدم الاتجاه الماركسي في النقد تصوراتاً للأدب وعلاقاته ونقده، وأهمها الربط جدلياً بين الأدب والبنية التحتية، حيث يخضع الأدب إلى القوى الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية وأنه لا يمتلك جوهرًا فنيًا أو جماليًا خارج فكرة الانعكاس، أي أن الأدب انعكاس للوعي الاجتماعي الطبقي، أي أنه تعبير عن المصالح والصراعات الطبقيّة .
- تعد المفاهيم والأفكار التي طرحها **جورج لوكاتش** الناقد الماركسي - وأستاذ **لوسيان غولدمان** - مرجعية مركزية للبنيوية التكوينية، يستند **لوكاتش** على الفلسفة الجدلية الهيغلية والفكر الماركسي، ويعد كتابه (نظرية الرواية)، أكثر المؤلفات تداولاً عند الدارسين، يشرح فيه الكاتب فكرته الأساسية

وفهمه الذي يعكس العلاقة بين الوعي والعالم، بين الذات والموضوع في المجتمع الحديث البرجوازي، في سياق اجتماعي مادي-جدلي.

اكتشف **غولدمان** كتب **لوكاتش** ولعل أهمها كتاب الروح والاشكال 1900، نظرية الرواية 1920، والتاريخ والوعي الطبقي 1923، وقد كانت مصادر ملهمة لتأطير مفاهيم وأسس البنيوية التكوينية.

المصطلح والمفهوم

البنيوية التكوينية هي ترجمة للمصطلح الفرنسي *Le structuralisme génétique* ، يستعير **غولدمان** مصطلح *Le structuralisme génétique* من العالم النفساني والبنيوي الفرنسي **جان بياجيه** .

جمع **غولدمان** في بنيويته التكوينية بين الدراسة الداخلية والدراسة الخارجية للنص الأدبي، ينبغي الانتباه إلى أن المسعى الذي بدأه **غولدمان** كان هو البحث عن كيفية تكون العمل الإبداعي (النص الأدبي عموما والروائي بصفة خاصة) داخل المجتمع ، وساقته منهجيته في مسعى البحث عن رؤية العالم إلى تأطير مجموعة من المفاهيم والإجراءات شكلت في مجموعها توجهها منهجيا نقديا يعرف بالبنيوية التكوينية، وبهذا يمكننا القول أن البنيوية التكوينية بدأت كنظرية أدبية وانتهت إلى منهج نقدي .

حاول "غولدمان" أن يفيد من خلال هذا المنهج الذي يتسم بالشمولية من البنيوية . وهو بذلك لا يهدف إلى الكشف عن البنية الأدبية فحسب ، وإنما عن العلاقات البنيوية بين النص الأدبي ورؤية العالم والتاريخ نفسه، بالكشف عن الكيفية التي تتم بواسطتها عملية تحويل موقف تاريخي لمجموعة اجتماعية إلى بنية عمل أدبي، عن طريق رؤية العالم التي تتبناها هذه المجموعة.

وأشار "غولدمان" إلى أن المنهج البنيوي التكويني يختلف عن المنهج البنيوي الشكلي في تصور كل منهما للبنية، يقول **غولدمان** " تحمل كلمة بنية للأسف انطبعا بالسكون ، ولهذا فهي غير

صحيحة تماما ، ويجب ألا نتكلم عن البنى لأنها لا توجد في الحياة الاجتماعية الواقعية إلا نادرا ولفترة وجيزة، وإنما عن عمليات تشكل البنى".

فالبنوية التكوينية ترى أن البنية ليست كيانا مغلقا، إنها ذات دلالة وظيفية وغير معزولة عن الذات الفاعلة والتاريخ، أما البنوية الشكلية فإنها تفصل البنية عن الذات والتاريخ وعن كل البنى الاقتصادية والاجتماعية. ويعترف "غولدمان" بأهمية وفعالية البنوية الشكلية كمنهج، لكن مأخذه عليها يتمثل في تعاملها مع الأدب تعاملًا يستمد أدواته ومفاهيمه الإجرائية من اللسانيات، مما يؤدي إلى اعتبار النص كيانا لغويا مغلقا تنعدم علاقته مع البنية الاقتصادية والاجتماعية.

والبنوية الشكلية في تجاوزها الربط بين البنية والتاريخ والذات الفاعلة، حاولت الابتعاد عن السقوط في الدراسة المضمونية للعمل الأدبي، فدراسة الأشكال في نظرها أهم من دراسة المضامين، وأدى إغفالها للمضمون الأدبي وعوامله المحيطة به إلى أن طعمها "غولدمان" بعلم الاجتماع الأدبي، لكي يربط النص بما حوله.

المنطلقات والمبادئ

بالإضافة إلى ما سبق يجدر بنا أن نذكر بعض المنطلقات الأساسية للبنوية التكوينية التي تكشف عن فهم عميق للعلاقة بين الفن والواقع الاجتماعي، وهي التي حصرها "غولدمان" في أربعة مبادئ:

- 1- إن النتاج الأدبي ليس انعكاسا بسيطا للوعي الجماعي الواقعي.
- 2- وهذا يعني أن العلاقة بين الوعي الجمعي والاجتماعي والإبداعات الفردية العظيمة لا تمثلها أصالة المحتوى الأدبي، بل الانسجام والتماثل بين الأبنية الأدبية والأبنية الذهنية العامة للجماعات الاجتماعية أو (أي الطبقات الاجتماعية)، التي يستطيع الوعي الجمعي التعبير عنها في أشكال خيالية متنوعة.
- 3- أن الفرد ليس في مقدوره على الإطلاق أن يضع من تلقاء نفسه بنية فكرية منسجمة تقابل ما يصطلح عليه "رؤية العالم"، فمثل هذه البنية لا يمكنها إلا أن تكون من إبداع الجماعة، والفرد

يمكن فقط من أن يرتفع بها إلى درجة عالية من الانسجام بتحويلها إلى مستوى من الإبداع الفني الجمالي.

4- إن الوعي الجماعي ليس حقيقة أولية، ولا هو بحقيقة مستقلة، إنه وعي يتكون ضمناً من خلال السلوك العام للأفراد المساهمين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

تركيب

حاول "غولدمان" الربط بين العمل والجماعة، ولكنه لا ينفي دور الكاتب الإبداعي، فهو يرى بأن الأثر الأدبي يعبر عن شخصية الكاتب من ناحية، والجماعة التي ينتمي إليها هذا الكاتب من ناحية أخرى، إن الرؤية للعالم المتناسكة ليست سوى من إنتاج الجماعة، أما المبدع فبإمكانه التعبير عن هذه الرؤية بطريقة خاصة.

المحور 2 : أسس البنيوية التكوينية

تقديم

حدّد لوسيان غولدمان طبيعة العلاقة بين البيئة الاجتماعية والإبداع الأدبي، فهي قائمة على أساس التماثل الموجود بين النص الأدبي وعلاقته بالبنيات الذهنية لطبقة اجتماعية، فالبنيات الذهنية ليست ظواهر فردية بل ظواهر جماعية، ومن هذا المنطلق نجد أن البنيوية التكوينية تعيد الاعتبار للظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية للمبدع، بحيث أنّها لا تعزل النص عن بيئته، ولا تغيب الخصوصية الأدبية للمبدع وأدبه رغم اهتمامها بالسياقات الخارجية، وبهذا استطاعت تحقيق وحدة بين الشكل والمضمون، بين حكم القيمة وحكم الواقع، بين التفسير والفهم، بين الغائية والحتمية.

الأسس والمرتكزات

قامت البنيوية التكوينية كما هو شأن جميع المناهج النقدية على مجموعة من المفاهيم والمرتكزات الأساسية، و أهمها :

1- البنية الدلالية la structure significative :

وهو المفهوم الأول في كل تحليل بنيوي تكويني، وتعد مقولة البنية الدلالية مقولة أساسية تفضي بالدارس إلى الإمساك برؤية العالم ، ذلك أن هذه البنية تنطلق من التصور الجمعي لمفهوم الرؤية ، البنية الدلالية هي تلك المقولة التي تخترق كيان النص باعتبارها رؤية يصوغها النص بشكل جدلي وهي البنية التي يصادفها الباحث أولا ، فتمنحه بطابعها الشمولي فهما أعمق للخلفية الإيديولوجية، والفكرية للمجتمع أو الفئة الاجتماعية المعبر عنها.

إن ما يجعل مقولة البنية الدلالية في مقدمة مقولات البنيوية التكوينية إنها تقودنا أولا إلى فهم دلالة الأعمال الأدبية ، وثانيا تمكننا من اختبار جدوى تحليلنا أي أنها تمنحنا معيارا نقيس به مدى نجاعة ذلك التحليل الذي قمنا به، من حيث دلالاته الفلسفية، والإبداعية ، والجمالية التي أتاحتها هذه البنية ، ومدى أصالتها في التعبير عن رؤية العالم .

2- الفهم والتفسير : la compréhension et l'explication :

يعد الفهم والتفسير مفهومين إجرائيين مترابطين ومنفصلين في آن واحد ، يشغل الأول على المستوى الداخلي للنص، والآخر على المستوى الخارجي. علينا أن نؤكد قبل شرح هذه النقطة بأن خطوتي الفهم والتفسير في البنيوية التكوينية وإن كانتا مختلفتين وظيفيا في الدور الذي تقوم به كل منهما في التحليل النصي، فإنهما تمثلان مقولة واحدة ضمن هذا المنهج، وإنهما مصطلحان متكاملان في نظرية غولدمان.

* الفهم : يتأطر المفهوم الإجرائي (الفهم) بالإطار الداخلي النص ، وحسب غولدمان ف "إن الفهم قضية تتعلق بالانسجام الداخلي للنص ، وهو ما يفترض أن نتعامل حرفيا مع النص كل النص ولا شيء غير النص، وهو البحث داخل النص عن البنية الدلالية الشاملة" ، أي أن الفهم هو إجراء ينظر إلى النص الأدبي بعزل عن كل معطى خارجي ، ويتوجه أساسا إلى الكشف وتوضيح بنائه الداخلي أو بنيته الدالة.

* التفسير : فهو عملية ثانية تنظر إلى العمل الأدبي في مستوى آخر خارجي، فتربطه ببنية أوسع وأشمل. يعرف غولدمان التفسير بأنه " إدراج بنية دلالية في بنية أخرى أوسع منها تكون فيها الأولى جزءا من مقولاتها " فإذا كان الفهم يختص بدخل النص ، فإن التفسير يتجه إلى الخارج ليربط النص

الأصغر (العمل الأدبي) بالنص الأكبر (المجتمع)، " فإذا كان الفهم عملا متصلا في النص فإن عملية التفسير هي وضع هذا الأخير في علاقة مع واقع خارج عنه "

وما يمكن أن نشير إليه هنا، هو أن العلاقة التي تربط الفهم بالتفسير هي علاقة تكامل وترباط، فالفهم أضيق من التفسير، والتفسير يتضمن الفهم بل ويتعداه

إن منهج "غولدمان" ركز على البنية انطلاقا من الوظائف التي تؤديها في العمل الأدبي. وأشار "غولدمان" إلى الكيفية التي يتوصل بها لاكتشاف البنية الدلالية، فعلى الباحث - في نظره - لكي يفهم العمل الذي هو بصدد دراسته أن يتقيد في المقام الأول بالبحث عن البنية التي تكاد تشمل كلية النص، وذلك استنادا إلى قاعدة أساسية نادرا ما يحترمها المختصون في الأدب ، وهي أن على الباحث أن يحيط بمجمل النص وأن لا يضيف إليه أي شيء وأن يفسر تكوينه، فاستخلاص البنية الدلالية في العمل الأدبي عامة والرواية خاصة ، لا يكون إلا عبر قراءة جزئيات النص في ضوء مجموع النص ذاته، مع التركيز على ما له دلالة وظيفية أساسية في العالم، وقد ترك "غولدمان" مجال البحث عن البنية الدلالية في العمل الروائي رهينا بقدرات الناقد الحدسية.

3- الوعي القائم والوعي الممكن:

يميز "غولدمان" بين نمطين من الوعي : الوعي الواقع والوعي الممكن ولكن قبل توضيح أنماط الوعي، حاول غولدمان تقديم مفهوم للوعي، وهو " مظهر معين لكل سلوك بشري ويتبع بطبيعته كل عمل "

* الوعي القائم **la conscience réelle** : (الوعي الفعلي ، الوعي الواقع) ، وهو الوعي الناتج بطبيعته عن الموروث حضاريا ثقافيا وتاريخيا ، حيث يعيد الحاضر صياغته وفهمه من منطلق رسوخ جمعي ، فالوعي الجمعي يرتبط بالجماعة واقعا وحاضرا أما على مستوى الإبداع الأدبي الروائي "فالوعي القائم هو وعي ناجم عن الماضي بمختلف أبعاده وظروفه وأحداثه ، عندما تسعى كل مجموعة اجتماعية لفهم واقعها انطلاقا من ظروفها الواقعية الاقتصادية والفكرية والمعتقدية الخ...

* الوعي الممكن **la conscience possible** : يتجاوز الوعي الممكن سكونية الوعي القائم ليشكل في مستوى أعمق إدراكا أكثر تجريدا وشمولا للتجربة الإنسانية وتصورا أمثل مستقبلا، فيصبح ها الوعي مكانا لإبراز القوى الكامنة وصوتا لكل مقموع ومنسحق في عجلة الطبقة الاجتماعية ، فالوعي الممكن مرتبط بالحلول الجذرية لمشكلات .

4- رؤية العالم **le vision du monde** :

مقولة رؤية العالم لدى غولدمان لا توافق المعنى التقليدي الذي يشبهها بتصور واعٍ للعالم، تصور إرادي مقصود، إنما هي الكيفية التي يحس بها وينظر من خلالها إلى واقع معين، أو هي النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق العمل الإبداعي ، تبلور مفهوم رؤية العالم نتيجة حصيلة استيعاب معمق للمقولات الفلسفية والنظريات السوسيولوجية منذ هيجل إلى ماركس إلى لوكاتش... وغيرهم .

رؤية العالم هي الهدف المنشود من وراء الخطوات المفاهيمية والإجرائية السابقة كلها، وتتسم بالشمولية لأنها لا تظهر من خلال عمل واحد بل من خلال مجموع أعمال كاتب " إن لم نقل كل أعمالهم التي ترشح في كليتها رؤية منسجمة ومتكاملة حول عالمهم، واستخلاص لمواقفهم اوجدية من وضعهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي ..".

خص "غولدمان" هذا المفهوم باهتمام خاص في مختلف ما كتبه، إلا أنه ركز عليه في مؤلفه " الإله الخفي". ويعرف "غولدمان" "رؤية العالم" بقوله : " إن الرؤية للعالم هي بالتحديد، هذه المجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى، إنها بلا شك خطأة تعميمية للمؤرخ، ولكنها تعميمية لتيار حقيقي لدى أعضاء مجموعة يحققون جميعا هذا الوعي بطريقة واعية ومنسجمة إلى حد ما "

وإن ما يمكن أن نشير إليه هو أن الفرد المبدع لا يمكن أن يخلق من تلقاء نفسه بنية فكرية منسجمة تستطيع أن تمثل رؤية للعالم، فهذا الأمر يكون من إبداع الجماعة. أما ما يقوم به الفرد المبدع هو الارتقاء بتلك البنية إلى درجة عالية من الانسجام حتى ترقى إلى مستوى الإبداع الخيالي. من هنا يمكن القول أن رؤية العالم تتجاوز ما هو واقع إلى ما هو مستقبلي، وما دامت الأعمال

الروائية الكبرى تتميز بشمولية الرؤية ، فإنها هي وحدها التي تمتلك رؤية العالم. هذه الرؤية التي تعتبر في الواقع تعبيراً كلياً وشمولياً عن قيم وطموحات ومشاعر الجماعة التي تؤمن بها.

تركيب

يستهدف لوسيان غولدمان من وراء بنيويته التكوينية رصد رؤى العالم من الأعمال الأدبية الجيدة عبر عمليتي الفهم والتفسير بعد تحديد البنى الدلالية في شكل مقولات ذهنية وفلسفية. ويعد المبدع في النص الأدبي فاعلاً جماعياً يعبر عن وعي طبقة اجتماعية ينتمي إليها، وهي تتصارع مع طبقة اجتماعية أخرى لها تصوراتها الخاصة للعالم. أي إن هذا الفاعل الجماعي يترجم آمال وتطلعات الطبقة الاجتماعية التي ترعرع في أحضانها، ويصيغ منظور هذه الطبقة أو رؤية العالم التي تعبر عنها بصيغة فنية وجمالية تتناظر مع الواقع.

مراجع

- لوسيان غولدمان : العلوم الإنسانية والفلسفة، تر : محمد العدلوني الإدريسي ويوسف عبد المنعم
- مجموعة من المؤلفين : كتاب البنيوية التكوينية والنقد الأدبي ، تر : محمد برادة
- جمال شحيد : في البنيوية التركيبية (دراسة في المنهج لوسيان غولدمان).
- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية